



عصمة الأنبياء في ضوء القرآن الكريم (نقد وتأصيل)

إعداد: منى سلطان مبارك العتيبي

مدرّب متخصص (ج)

المعهد العالي للخدمات الإدارية

muna.sm@outlook.com

الملخص

تناولت الدراسة عصمة الأنبياء في ضوء القرآن الكريم، وتتمثل في أن الله يحفظهم من ارتكاب الكبائر والصغائر، لأنهم مكلفون بتبليغ دين الله، قدوة لأقوامهم، لذلك فهم معصومون عما يتناقض مع وظيفتهم، مع أن العصمة لا تتعارض مع بشريتهم، لكن الله اصطفاهم عن بقية الناس وميّزهم، وكلفهم بدعوة الناس إلى دين الله تعالى. وتحدثت الباحثة عن موقف علماء المسلمين من العصمة، وبيّنت ثبوت عصمة الأنبياء من المعاصي والذنوب بنصوص قرآنية. واتبعت الباحثة في دراستها المنهج التاريخي والمنهج التحليلي والمنهج النقدي المقارن. وأجابت الدراسة عن أسئلتها وهي: ما هي العصمة؟ وما هي أهميتها؟ وما هي أبرز المسائل التي تشملها؟ وكيف انقسمت مواقف العلماء حول العصمة؟ وكيف تمثلت عصمة الأنبياء في القرآن الكريم؟

وأثبتت نتائج الدراسة عصمة الله لأنبيائه بأدلة قرآنية قطعية، وهو ما يتفق مع وظيفتهم في تبليغ دين الله تعالى.

الكلمات المفتاحية: العصمة، عصمة الأنبياء، مسائل العصمة، نفي العصمة.

Infallibility of the Prophets in the Light of the holy Qur'an / Criticism and Rooting

Muna Sultan Mubarak AlOtaibi

Abstract:

The current study aimed at dealing with the infallibility of the prophets in the light of the holy Qur'an, which is represented in that God protects them from committing major sins and minor sins, because they are tasked with communicating the religion of God, and they are role models for their people. Therefore, they are infallible with what contradicts their job, even though infallibility does not conflict with their humanity, but God chose them apart from the rest of people and distinguished them, and assigned them to call people to the religion of God Almighty. The researcher talked about the position of Muslim scholars on infallibility, and showed that the infallibility of the prophets against sins was proven in Qur'an texts.

In her study, the researcher followed the historical method, the analytical method, and the comparative critical approach. The study answered its questions, namely: What is infallibility? What is its importance? What are the most prominent issues it covers? How divided the positions of scholars about infallibility? How was the infallibility of the prophets represented in the Holy Quran?

The results of the study proved God's infallibility of his prophets with conclusive Quran evidence, which is consistent with their function in communicating the religion of God Almighty.

Keywords: Infallibility, Prophets Infallibility, Issues of Infallibility, Negation of Infallibility.



مقدمة

يمثل موضوع العصمة محورًا مهمًا في ركن الإيمان بالرسول، فالرسول اصطفاهم الله لتبليغ رسالاته، ووظيفتهم تقتضي أن يكونوا أصفى الناس فطرة، وهم قدوة لأتباعهم، لذلك فمن المنطقي ألا يقفوا فيما يُنفر منهم، وأن يكونوا معصومين عن الخطأ والزلل.

فالإيمان بالأنبياء والرسول ركن من أركان الإيمان، والقرآن الكريم مليء بالقصص التي تعزز العصمة وتجعل قصصهم عبرة وعظة، كما أن إيراد القصص في القرآن دليل على العصمة والتنزيه عما يُتهم به الأنبياء في دعوتهم.

والله سبحانه وتعالى اختار من عباده أشخاصًا، يتميزون بصفات وخصائص تميزهم عن غيرهم، ليتمكنون من أداء المهمة التي أوكلها الله إليهم؛ وهي هداية الناس إلى الطريق المستقيم، والأنبياء هم صفوة الله من خلقه؛ لنبل أخلاقهم، حُسن صفاتهم، منزهون عن كل عيب، وهم قدوة لقومهم، ومعصومون من الكبائر والصغائر، والله عصمهم بكل ما يتعلق بتبليغ رسالاته.

وسعت الباحثة في هذا البحث إلى توضيح الصورة الحقيقية للرسول الذين اختارهم الله لتبليغ دعوته إلى الناس، وتبصيرهم بشريعته، من خلال دراسة الآيات القرآنية، ودراسة هذه النصوص دراسة تحليلية نقدية تأصيلية، للوصول إلى إنصاف الأنبياء الذين هم صفوة الله من خلقه، وإثبات عصمتهم عن الذنوب والمعاصي.

مشكلة الدراسة

إن مسألة العصمة موضوع كلامي ومنتكّف، لانقسام مواقف العلماء حولها، ودخول البحث في دائرة الجدل، وتجاوزوا النص القرآني في مواقفهم، وانقسام الآراء حول العصمة تمثل بين من دافع عنها، ومن نفاها عن الأنبياء والرسول، وكان الرد على الشبهات في ضوء القرآن الكريم والقصص القرآنية، لذلك ارتأت الباحثة تناول موضوع عصمة الأنبياء في ضوء القرآن الكريم، بما تضمنته الآيات القرآنية من نصوص تثبت عصمة الأنبياء وتنزيههم عن كل ما يُنفر الناس منهم.

أسئلة الدراسة

أجابت الدراسة عن الأسئلة الآتية:

- ما هي العصمة؟
- ما هي أهمية العصمة؟ وما هي أبرز المسائل التي تشملها العصمة؟
- كيف انقسمت مواقف العلماء حول العصمة؟
- كيف تمثلت عصمة الأنبياء في القرآن الكريم؟



أهمية الدراسة

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها إثبات عصمة الأنبياء عليهم السلام عن كل ما نسب إليهم من مخالفات ومعاصٍ، وبيان موقف القرآن الكريم من عصمتهم جميعًا. كما أنها وضحت للقارئ مواقف علماء المسلمين تجاه موضوع العصمة.

وتتمثل أهمية الدراسة أيضًا في الدفاع عن الأنبياء صلوات الله عليهم، لأن الدفاع عنهم وتنزيههم عن المعاصي فيه تقرب إلى الله تعالى، وفي الدراسة خدمة للمسلمين عامة وأهل العلم خاصة في إظهار الخلاف في مسألة العصمة وبيان الحق.

أهداف الدراسة

تهدف الدراسة إلى ما يأتي:

- بيان تعريف العصمة لغة واصطلاحًا.
- معرفة أهميتها، وتحديد قواعدها والمسائل التي تشملها.
- بيان مواقف الناس حولها ما بين مؤيد ومعارض.
- الرد عليهم مما جاء في القرآن الكريم من قصص وعبر، وإيراد أمثلة من القرآن الكريم حول العصمة.

منهج الدراسة

وظفت الباحثة المنهج التاريخي، والمنهج التحليلي في تحليل الآيات القرآنية وبيان المسائل التي تتعلق بالعصمة، والمنهج النقدي المقارن في الرد على العلماء الذين نفوا العصمة عن الأنبياء.



الدراسات السابقة

هناك عدة دراسات تناولت موضوع العصمة، لكن كانت تخص جماعة أو فرقة معينة كالشاعرة، أو الشيعة، أو في الفكر الإسلامي عمومًا، لكن الباحثة قصرت الدراسة على موضوع عصمة الأنبياء في ضوء القرآن الكريم، نقد وتأسيس، ومن الدراسات السابقة والتي أفادت منها الباحثة:

- دراسة الفواز (1999) " العصمة في الفكر الإسلامي"، ناقش فيها الباحث العصمة وبيّن حقيقتها، وأنواعها، والعصمة عند الشيعة.
- دراسة نمر (2005) " عصمة الأنبياء والرسل في الرسالات السماوية الثلاث"، تناول الباحث فيها مفهوم العصمة وأقسامها، وفصل الكلام في عصمة الأنبياء والرسل عند الشيعة الإمامية والإثني عشر.
- دراسة الخطيب (2013) "عصمة الأنبياء بين العهد القديم والقرآن الكريم/ دراسة مقارنة"، تناول الباحث موضوع عصمة الأنبياء الوارد ذكرهم في العهد القديم وهم آدم وموسى وهارون وسليمان عليهم السلام، ونسب إليهم الوقوع في المعاصي، وخرجت الدراسة بإثبات أن الأنبياء جميعهم معصومون من الذنوب والمعاصي.

خطة الدراسة

اقتضت طبيعة هذا البحث دراسته في مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة كما يأتي: **المقدمة:** تناولت فيها أهمية هذا البحث ومنهجه وأهدافه والدراسات السابقة، **والمبحث الأول:** تعريف العصمة في اللغة والاصطلاح، **والمبحث الثاني:** أهمية العصمة للأنبياء، **والمبحث الثالث:** مواقف علماء المسلمين من العصمة، **والمبحث الرابع:** عصمة الأنبياء في القرآن الكريم، **والخاتمة:** حيث سجلت فيها أهم النتائج.

أسأل الله التوفيق والسداد



المبحث الأول: تعريف العصمة

أولاً: العصمة لغة:

العصمة لغة هي "المنع، وعصم الله عبده، أي يعصمه مما يوبقه، واعتصم فلان بالله: إذا امتنع به، واستعصم إذا امتنع وأبى، وأعصمتُ فلاناً أي هيأتُ لـخ شيئاً يعتصم بما نالته يده، أي يلتجئ ويتمسك به" (ابن منظور، 2003، 266/12)، قال تعالى: (**قالت فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولنن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونن من الصغرين**) (يوسف: ٣٢)، فاستعصم أي أبى وامتنع ولم يلبي طلبها.

وقال ابن فارس أن " العين والصاد والميم أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على إمساكٍ ومُنْعٍ وملازمة، والمعنى في ذلك كلُّه معنى واحد. من ذلك العِصْمَةُ: أن يعصم الله تعالى عبده من سوءٍ يقع فيه" (ابن فارس، 1979، 331/4).

ثانياً: العصمة اصطلاحاً:

واصطلاحاً هي الحفظ، والعصمة من الله هي " صيانة الإنسان من الخطأ والعصيان، والصيانة في الفكر والعزم، والمعصوم المطلق من لا يخطئ في حياته، ولا يعصى الله في عمره، ولا يريد العصيان ولا يفكر فيه" (السبحاني، 2004). وهي " حفظ الله تعالى للمكلف من الذنب مع استحالة وقوعه، وبهذا المعنى لا يجوز أن نسألها، أما إن أريد معناها اللغوي فـجائز " (الباجوري، 2004، 315).

والعصمة هي التوفيق الذي يسلم به الإنسان في ما يكره إذا أتى بالطاعة، وذلك مثل إعطائنا رجلاً غريقاً حبلاً يتسبث به فيسلم، فهو إذا أمسكه واعتصم به سمي عصمة فسلم من الغرق، وعصمة الأنبياء بمعنى أن الله يحفظ الأنبياء من ارتكاب الكبائر والصغائر (القرطبي، 2006).

وعصمة الأنبياء هي "حفظه إياهم أولاً بما اصطفاهم به من صفاء الجوهر، ثم بما أولاهم من الفضائل، ثم بالنصرة وبتثبيت أقدامهم، ثم بإنزال السكينة عليهم، وحفظ قلوبهم وبالتوفيق" (الرازي، 1981، 89)، قال تعالى: (**والله يعصمك من الناس**) (المائدة: ٦٧).

فالعصمة قوة في داخل الإنسان تمنعه من الوقوع في اقتراف المعصية، والوقوع في الخطأ (السفاريني، 1991). فالعصمة تكون عن المعصية وعن الخطأ، وترجع إلى الإيمان والتقوى، تعصمه عن اقتراف المعاصي، وكذلك التفكير فيها.



المبحث الثاني: أهمية العصمة

تتبع أهمية العصمة من أن الأنبياء مكلفون بتبليغ دين الله، وهم قدوة للناس، لذلك فهم معصومون عما يتناقض مع وظيفتهم، مع أن العصمة لا تتعارض مع بشريتهم، لكن الله اصطفاهم عن بقية الناس وميّزهم، وكلفهم بدعوة الناس إلى دين الله تعالى.

وأورد الإيجي (1977، 281/8) أن العصمة تشمل عدة مسائل، هي:

1. العصمة قبل النبوة وبعدها.
2. العصمة من الكفر والشرك.
3. العصمة من الكذب في التبليغ.
4. العصمة من الذنوب والمعاصي كبائرها وصغائرها.
5. العصمة من السهو والنسيان.

وهي مسألة متعدّدة الأبعاد (الجابري، 1988) فهي ذات بعد سياسي: كالأئمة عند الشيعة، وبعد تشريعي: وهو المعصوم من الكذب والخطأ تكون أقواله ويكون سلوكه من الله، ويكون لها قوة الشرع، وبعد أخلاقي وهو السلوك الديني.

وأكد الرازي (1981) حججاً تثبت ضرورة العصمة للأنبياء والرسول وهي:

- لو صدر الذنب عنهم لاستحقوا الذم والعقاب، وهذا باطل، لأن صدور الذنب عنهم باطل، قال تعالى: (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين) (الأحزاب: ٣٠).

- لو صدر الذنب عنهم لما قبلت شهادتهم، وهذا يتعارض مع وظيفتهم، قال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين) (الحجرات: ٦).

- لو صدر الذنب عنهم لوجب زجرهم، لكن زجر الأنبياء غير جائز بالقرآن الكريم لذلك لا يصدر الذنب عنهم، وأن إيذاءهم حرام لقوله تعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذاباً مهيناً) (الأحزاب: ٥٧).

- لو صدر الذنب عن الأنبياء لاستحقوا غضب الله وعذابه، لكن الله تعالى قال: (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) (النساء: ١٤)، لذلك فإن صدور الذنب والمعصية عنهم باطل.

- جميع الرسل كانوا يدعون إلى طاعة الله وترك المعاصي، فلو ارتكبوا المعصية لبطلت دعوتهم، قال تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع) (النساء: ٦٤).



- كان الرسل من المصطفين والأخيار في كل أمور حياتهم، وهو ما يتنافى مع صدور الذنب عنهم، قال تعالى: (الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع بصير) (الحج: ٧٥).
- الأنبياء منزهون عن اتباع إبليس وبالتالي هم معصومون عن الذنوب، قال تعالى: (ولقد صدق عليه إبليس طنه فاتبعوه إلا قليلاً من المؤمنين) (سبأ: ٢٠).
- وحقيقة العصمة هي أن لا يخلق الله في الأنبياء ذنباً، وهي "ملكة تمنع الفجور وتحصل بالعلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات، وتتأكد بتابع الوحي بالأوامر والنواهي، والاعتراض على ما يصدر عنهم من الصغائر" (الجابري، 2008، 34).

المبحث الثالث: مواقف علماء حول العصمة

تباينت المواقف حول العصمة، ففريق قال بعصمة الأنبياء، وفريق آخر نفى العصمة عنهم، والفريق الذن اتفقوا على ثبوت العصمة اختلفوا في الأفعال التي تكون فيها العصمة، وموعدها، وفي اعتبار النسيان والخطأ والتعمد جزء من العصمة.

أولاً: فريق أثبت العصمة للأنبياء:

علماء التوحيد بينوا أن للأنبياء مكانة عند الله، ولهم وظيفة في تبليغ رسالاته، لذلك فهم يمتلكون صفات خلقية وخلقية تساعدهم من تأدية وظيفتهم، وقد نزههم الله وحفظهم من الوقوع في الخطأ والزلل، الذي قد ينفّر الناس منهم ومن دعوتهم، واستدلوا على موقفهم هذا بالآيات القرآنية، التي أثبتت أن الأنبياء والرسل مصطفىون، والله حفظهم من الوقوع في الإثم وارتكاب الخطايا.

عبّر ابن حزم عن اجتماع الأمة بفرقها المختلفة على العصمة للأنبياء والمرسلين بقوله: " وذهبت جميع فرق أهل الإسلام، من أهل السنة والمعتزلة والنجارية والخوارج والشيعية، إلى أنه لا يجوز البتة أن يقع من نبي أصلاً معصية بعمد، لا صغيرة ولا كبيرة، وهذا هو القول الذي ندين الله بدين الله تعالى به، ولا يحل لأحد أن يدين بسواه" (ابن حزم، 1348، 145).

وذكر القاضي عياد إجماع المسلمين على عصمة الأنبياء "من الفواحش والكبائر والموبقات، ومستند الجمهور في ذلك الإجماع، وهو قول كافتهم، وكذلك لا خلاف في أنهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ، لأن كل ذلك يقتضي العصمة فيه المعجزة مع الإجماع" (القاضي عياد، 1979، 144/2). وهو يثبت عصمة الأنبياء من الكفر والجهل بالأدلة من القرآن الكريم.

وأجمع الرازي على عصمة الأنبياء عن الكفر والبدع، ولا يجوز عليهم التحريف والخيانة لا بالعمد ولا بالسهو، وأيضاً لا يجوز تعمد الخطأ، وهم معصومون في زمان النبوة وبعدها عن الكبائر والصغار بالعمد(الرازي، 1981).



والقائلون بعصمة الأنبياء عن الصغائر والكبائر انطلقوا من القول بأن الله تعالى أمر اتباع الرسل والتأسي بهم وذلك في قوله تعالى: (ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) (الأحزاب: ٢١)، فالأمر باتباع الرسل يستوجب أن يكونوا معصومين، لأن الاتباع يكون في كل شيء في الطاعات والأفعال والأقوال، فلو وقع الرسول في معصية لحصل تناقض، فكيف يستقيم الاقتداء بالرسول في كل شيء وفي الوقت نفسه النهي عن المعصية؟

ثانياً: فريق نفي العصمة عن الأنبياء مطلقاً:

أنكر فريق المعارضين حقيقة العصمة، وعدّها مجرد فكرة مسبقة من أفكار المذاهب الإسلامية، واكتسبت طابعاً سياسياً، وأن ما يريدون تأكيده هو ضرورة التفكير في آيات القرآن الكريم، بعيداً عن الأفكار المسبقة حول العصمة، مثل فكرة العصمة التي اكتسبت طابعاً مذهبياً سياسياً في الفكر الإسلامي.

ولكن من ينكر عصمة الله للأنبياء والمرسلين لم يلتفت إلى أن العصمة عقيدة، ونابعة من الحكمة الإلهية في اصطفاء الأنبياء والمرسلين، وأن إنكار عصمة الرسول، المقصد منه نفي عصمة القرآن الكريم عن التغيير والتبديل.

وذهب المحدثين في نفي عقيدة عصمة الرسول ﷺ، إلى ادعائهم بأن النبي كان ينتابه الشعور بالفشل في أداء مهمته، بسبب إعراض قريش عن دعوته، "ولقد كان طبيعياً تماماً أن يعترى محمداً ما يعترى البشر - وهو واحد منهم- من أحوال نفسية وتمنيات من هذا النوع أو ذلك، وكان من الطبيعي كذلك أن ينتابه الأسى والأسف من حين لآخر بسبب إصرار قومه على الإعراض عن دعوته، ولا شك أن الرسول كان يحس في بعض الأحيان بما يشبه الشعور بالفشل في مهمته، والرسول بشر، فكان لا بد أن يقلق ويتخوف من أن يؤدي إصرار قريش على عدم الاستجابة لدعوته إلى فشله في تبليغ رسالته، ولقد كان النبي حين نزول آية الشعراء في حالة نفسية قلقة، بسبب إعراض قريش عن الاستجابة" (الجابري، 2008، 126 - 127).

لكن المحدثين توقفوا عند بشرية الرسول فقط، وأصدروا حكمهم بأن الرسول ﷺ يعتريه الخوف والقلق كسائر البشر، وتجاهلوا أنه بشر اصطفاه الله واختاره نبياً، وأنزل عليه الوحي، لذلك فهو أصبح حلقة وصل بين العالم البشري والعالم الدنيوي، وإن شعوره بالقلق لم يكن خوفاً من فشله في تبليغ رسالته، بل قلقاً وإشفاقاً على مصير المكذابين (عمار، 2010). كيف تغافلوا عن ثقة الرسول الكريم بوعد الله في تبليغ رسالته؟ هل فاتهم ثقة الرسول الكريم بانتصار الإسلام وانتشار الدين الإسلامي؟



وتعرض سيدنا محمد ﷺ لأذى كبير في سبيل دعوته، سواء أذى نفسياً أو جسدياً، ففي غزوة أحد كُسرَت رباعيته ونزل دمه، روى أنس بن مالك: « أن رسول الله ﷺ كُسرَت رباعيته يوم أحد، وشُجَّ في رأسه، فجعل يسلُّتُ الدم عنه، ويقول: كيف يُفلح قوم شجّوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله؟ فأُنزل الله تعالى: (ليس لك من الأمر شيء) (آل عمران: ١٢٨)» (صحيح مسلم، 297/1). فالرسول الكريم ليس إليه من إصلاحهم، ولا عذابهم أيضاً، وليس إليه من النصر ولا الهزيمة في شيء، وإنما هو لله وهو المجازي فيه (الطبري، 2000). فالرسول ما عليه إلا البلاغ، والله تعالى يهدي من يشاء، وبهذا فلن يتسلل الشعور بالفشل إلى الرسول الكريم، لأنه مهمته البلاغ، وهذا ينفي ما ذهب إليه المحدثون من نفي العصمة عن الرسول لما يعتريه من شعور بالفشل.

وكيف يتوافق رأي المحدثين الذين نفوا العصمة بما أصاب الرسول الكريم من شعور بالفشل مع قوله تعالى: (إنا كفييناك المستهزئين) (الحجر: ٩٥)، وأيضاً (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك فإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين) (المائدة: ٦٧)، كيف يؤول المحدثون قول الله تعالى (والله يعصمك)؟ فالنص القرآني واضح بأن الله يعصمه، ويحكم على الكافرين بالضلال.

واتخذ الفريق الذي نفى العصمة عن الأنبياء قول سيدنا ابراهيم بأنه لم يكسر الأصنام، وعدّوا هذا أنه يتنافى مع قوله تعالى: (قال بل فعله كبيرهم هذا فسألوه إن كانوا ينطقون) (الأنبياء: ٦٣)، إذ اتهموا سيدنا ابراهيم بالكذب، والكذب معصية وتتنافى مع عصمة الأنبياء، ولكن " الرد في سياق الكلام لم يكن كذباً، إذ أن الكذب يعتبر بما يترتب عليه من مساوئ، أما إذا كان لغرض شريف وخاصة للدعوة إلى الله تعالى فلا بأس به من الأخبار بغير الواقع مع قيام قرينة تدل على غرضه من القول، فهذا يعتبر بلاغة القول كالتعريض، وأن ابراهيم عليه السلام ما قال لهم ذلك إلا توبيخاً لهم وسخرية بهم، بسبب اعتقادهم بألوهيتها، فكيف لا تستطيع الدفاع عن نفسها، وكذلك بأن كبيرها هو القائم بالفعل فهل يعقل ذلك؟ وهذا ما أراده ابراهيم عليه السلام من تغييره للواقع ليفكروا قليلاً فيما يقوله، فيقفوا على بطلان اعتقادهم بألوهية الأصنام" (قطب، 1971، 536/5).

وترجح الباحثة أن كلام سيدنا ابراهيم عليه السلام لا يعد كذباً، لأنه لا يتفق نسبة الكذب إلى الأنبياء عليهم السلام، لأنه يزعم ثقة الناس بهم، وبالتالي عدم الثقة في تبليغ دعوتهم التي هي مقصد النبوة.

ثالثاً: فريق نفى العصمة عن الأنبياء في الصغائر:

شكّل هذا الفريق الشريحة الأكبر من علماء المسلمين، قال ابن تيمية: " القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام، كما ذكر أبو الحسن الأمدي أن هذا قول أكثر الأشعرية، وهو أيضاً قول أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابه والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول" (ابن تيمية، 2008، 319/4).



فبعض علماء المسلمين أجمعوا على عصمة الأنبياء عن الكفر والكبائر مطلقاً، وعن تعمد الكذب فيما دلت المعجزة على صدقهم فيه، كدعوى التبليغ والرسالة، ولكن جواز صدوره عنهم على سبيل السهو والنسيان، وأنهم غير معصومين عن الصغائر (الايحي، 1977).

وجاء إجماع المسلمين على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر للموبقات (السفاري، 1991)، فكيف لهم أن ينكروا العصمة التي أجمع عليها علماء الأمة، قال الرازي " فقد أجمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب والتحريف، فيما يتعلق بالتبليغ، وإلا لارتفع الوثوق بالأداء، وانفقوا على أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمداً كما لا يجوز أيضاً سهواً" (الرازي، 2000، 38).

وحاولوا إبراز اختلاف الفرق حول عصمة الأنبياء والمرسلين ببيان " أن اهتمام الفرق الإسلامية كان مركزاً على إثبات نبوة محمد وما به تثبت، وعلى ما يميز النبي عن سائر البشر، مثل تلقي الوحي، وكيفية التلقي، واحتمال تعرضه للنسيان، وهل هو معصوم أم غير معصوم. فأهل السنة والجماعة كالمعتزلة يتعاملون مع مفهوم النبي بوصفه يدل على واحد من البشر اختاره الله لهذه المهمة، وعليه فهو ليس معصوماً، عصمة كلية، لا عن النسيان ولا عن السهو والخطأ ولا عن المعاصي، الكبائر منها والصغائر، وإن كانوا يصنعون لذلك حدوداً وقيوداً تمنع من المس بعلو شأن النبي وطهارة سلوكه وأمانته، خصوصاً في مرحلة التبليغ عن الله بحيث ينفون عنه النسيان والسهو والخطأ في هذا المجال، وذلك إبعاداً لشبهة النقص والتغيير عن القرآن" (الجابري، 2008، 112).

ولكن اختلاف أهل السنة والجماعة حول العصمة يندرج في ثلاثة أقسام، هي:

1. ما يقع في باب الاعتقاد أو التبليغ: إذ أجمع أهل الإسلام أنّ وقوع الخطأ سهواً أو عمداً يوجب عدم الوثوق في الرسالة، واحتمال التحريف والتبديل، وهو محال في دعوة خاتم النبيين وبقية الرسل أجمعين (الرازي، 2000).

2. ما يقع في باب الأحكام والفتيا: إنّ الأنبياء يسوّغ لهم الحكم بالاجتهاد وإن كان وجود النص ممكناً لديهم بالوحي، لكن في ذلك زيادة في أجورهم، ولعصمتهم من الخطأ في ذلك، فهم معصومون على الباطل (ابن حجر، 1988).

3. ما يقع في أفعال الرسل والأنبياء على سبيل السهو: السهو والنسيان جائزان على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (ابن حجر، 1988)، روى مسلم بما يؤكد حدوث النسيان إذ قال: «إنّما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني» (صحيح مسلم، 669/3)، والسهو لا يخالف العصمة، بل هو تمام التبليغ، لأنه دليل على بشرية الرسول.



فالفرق الإسلامية كالسنة والمعتزلة لم ينفوا السهو والخطأ، بل نفوا العصمة عن الأنبياء، لأنهم لا ينفون النسيان والخطأ والمعاصي، ولم ينفوا الكبائر والصغائر، وكلامهم يثبت أن أهل السنة والجماعة نفوا النسيان والسهو والخطأ في التبليغ، مع أنه دليل قاطع مع قولهم بعصمة الأنبياء.

وبناء على ما تقدّم نجد بأن الأمة اتفقت على عصمة الأنبياء كافة في تحمل الرسالة عصمة تامة، كما اتفقت الأمة على عصمة الأنبياء من الوقوع في الكبائر مثل الكفر والكذب وعدم تبليغ الرسالة وغيرها من الكبائر، وعلى عصمة الأنبياء من الصغائر نجد بأن غالب علماء المسلمين قالوا بعصمتهم من الصغائر فإن وقعت منهم فإنهم لا يقرّون بها، أما من قالوا بجواز وقوع الخطأ اليسير منهم فعدوا ذلك من رحمة الله بهم، حيث لم يحرمهم من أعظم العبادات وأحبها إلى الله وهي التوبة والإنابة.

المبحث الرابع: عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

حفل القرآن الكريم بالكثير من الآيات القرآنية التي تثبت عصمة الأنبياء، وتترجمهم عن الصغائر والمعاصي، وتعد الشواهد القرآنية الدليل الأكبر في وجه كل من يفترى على الأنبياء ويثير حولهم الشبهات.

إن عصمة الأنبياء هي مقصد النبوة والرسالة، وهم معصومون فيما يبلغونه عن الله، وقال تعالى في ذلك: (أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (البقرة: ٢٨٥).

والأنبياء قدوة للناس كما جاء في قوله تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبُهْدَاهُمْ اِقْتَدِهْ فَلَا أَسْأَلُكَ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ) (الأنعام: ٩٠)، فالله سبحانه وتعالى اصطفاه عن بقية الخلق، ويتمتعون ببطرة سليمة ونقية وليس فيهم ما ينفر، لذلك فهم قدوة للناس، يدعونهم لبيان شريعة الله، وإقامة العدل، وتعزيز محاسن الأفعال والأخلاق.

كما أن الله سبحانه وتعالى وعد المطيعين لله وللرسول بأنهم سيُحشرون مع الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، قال تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) (النساء: ٦٩). وكذلك قوله تعالى: (وَمَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ) (النساء: ٨٠)، والآية بنص واضح وصريح تدعو إلى طاعة النبي والافتداء به، فطاعته واجبة دون قيود أو شروط، ومن المنطقي أن من تجب طاعته على وجه الإطلاق سيكون معصومًا من العصيان، ومصونًا من الخطأ والزلل.

كذلك وصف الله تعالى للرسول بأنه أسوة حسنة في قوله تعالى: (وَلَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الأحزاب: ٢١)، فعندما يجعله الله تعالى قدوة حسنة للناس جميعًا وفي كل المجالات، لا بدّ أن تتفق هذه القدوة مع العصمة، لأنه قدوة في كل شيء، فلو صدر عنه شيء من العصيان أو الخطأ، كيف سيكون قدوة حسنة للناس؟ الأمر هنا سيصبح متناقضًا، لذلك دلت الآية ضمناً عن عصمة الله لرسوله من كل شيء.

وقد أجمع العلماء أن العصمة للأنبياء والمرسلين هي من مقتضيات الحكمة الإلهية، ومن ضروريات البعثة، التي تقتضي التعظيم والتبجيل للرسول، وأنه معصوم من تعمد المعصية ومن وقوعها منه حتى على وجه التأويل، وأنه معصوم فيما يخبر به، ومعصوم من المعصية قبل البعثة وبعدها من الكبائر ومن كل ما ينفر ومن الصغائر التي تنفر، وكذلك عصمة الأنبياء والمرسلين هي عقيدة إيمانية تقتضيها الحكمة الإلهية، ومعصوم من الكذب والتغيير والتبديل فيما يؤديه عن الله، وأن السهو والغلط ممتنعان عن الرسول في التبليغ، كامتناع الكذب والكتمان عليه (القرطبي، 2006)، قال تعالى: (وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ) (النجم: ٣ - ٤)، وقال تعالى أيضًا (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) (الحشر: ٧)، فالآيات تؤكد العصمة.



وقصص الأنبياء الواردة في القرآن جاءت لتقديم العبرة والفائدة، قال تعالى: **(لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب)** (يوسف: ١١١)، ووصف الله في القرآن الكريم أنه أتى أنبياءه الحكمة والعلم، فقد أتاهما لسيدنا موسى عليه السلام جزاء على إحسانه **(ولمّا بلغ أشدّه واستوى وأتيناها حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين)** (القصص: ١٤)، وكذلك سيدنا داود فقد اختاره الله وآتاه الملك والحكمة **(فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلّمه ممّا يشاء)** (البقرة: ٢٥١)، والشواهد كثيرة على هذا، فلو كان الأنبياء غير معصومين فهل سيكافئهم الله على إحسانهم بالحكمة والعلم؟

وجاء التأكيد على اعتصام الانبياء بالأخلاق وترفعهم عن الفتن، مثل قصة سيدنا يوسف عليه السلام، التي أكدت تمسكه بالأخلاق ولم يقع قي الفتنة والمعصية، بل وأكدت السورة عفته واستقامته، قال تعالى: **(وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب)** (يوسف: ٢٣).

فعصمة الله للأنبياء عن المعصية ومخالفة أوامر الله فيما يرجع للدين، أما في مخالفة الأمر الإرشادي يجوز مخالفة الأمر (الطبري، 2000) كما في قوله تعالى: **(وعصى آدم ربه فغوى)** (طه: ١٢١)، إذ عصى سيدنا آدم ربه وأكل من الشجرة ففسد عليه عيشه، ومخالفة سيدنا آدم لنهي الله سبحانه لا تتضاد مع العصمة.

عندما غاضب سيدنا يونس عليه السلام ربه من حيث لم ينزل بقومه العذاب، فرغم عصمة الله له ظن أن الله غير قادر عليهم، قال تعالى: **(فظن أن لن يقدر عليه)** (الأنبياء: ٨٧).

وكذلك لا تتنافى عصمة سيدنا ابراهيم مع قوله تعالى: **(قال بل فعله كبيرهم هذا فساءلوه إن كانوا ينطقون)** (الأنبياء: ٦٣)، فسيدنا ابراهيم هو من كسر الاصنام، ولكن هذا لا يعد كذباً لأن ما ذكره كان لغاية أخرى، وأيضا في قوله تعالى: **(بوادٍ غير ذي زرع)** (إبراهيم: ٣٧).

وفي قوله تعالى: **(وألقى الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه)** (الأعراف: ١٥٠)، إذ لا تتنافى هذه الآية مع عصمة سيدنا موسى لأن إلقائه الألواح تعبر عن موقف انزعاج وغضب أصابته من قومه.

وتحدث القرآن الكريم عن سيدنا لوط عليه السلام بما يشهد عصمته من الذنوب والمعاصي، قال تعالى: **(ولوطاً أتيناها حكماً وعلماً ونجيناها من القرية التي كانت تعمل الخبائث)** (الأنبياء: ٧٤ – ٧٥)، فالله آتاه العلم والحكمة والرحمة والصلاح، ونجاه من كل ما يدخل تحت الفاحشة والمنكر.



وأيضًا عصمة الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ لا تتنافى مع قوله تعالى: (وتخفي في نفسك ما الله مُبديه) (الأحزاب: ٣٧)، إذ تدل الآية أن الرسول هو زينب بنت جحش وبعد أن طلقها زيد بن حارثة تزوجها الرسول، وقالت السيدة عائشة لو أراد النبي أن يكتم آية لكتم هذه الآية (ابن كثير، 1990)، وأيضًا (عيس وتولى) (عيس: ١)، فالنبي معصوم عن كل ما يدعو إلى الإدانة واللوم، وفي قوله تعالى: (وما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم) (الأنفال: ٦٧) دلالة على عصمة الله تعالى لسيدنا محمد من الزلل والسهو في مسألة أخذ الأسرى.

كما أن قصص الأنبياء جاءت لتؤكد عصمتهم وتنزههم من خلال ذكرها في القرآن، وذلك لأن بني إسرائيل أساءوا للأنبياء، ورموهم بتهم باطلة، للطعن فيهم وبسلوكهم، فذكر الله القصة في القرآن بما يؤكد صحة موقف الأنبياء، وهذا تأكيد لعصمتهم وتنزيههم من الفتن.

فالعصمة مبدأ قرآني، إذ جاءت حقيقة العصمة في القرآن الكريم بقوله تعالى: (لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يُؤمرون) (التحریم: ٦)، فحقيقة العصمة تتجسد في هذه الآية، وهي الامتثال لأمر الله تعالى، وعدم عصيانه، والنص القرآني واضح ولا يحتاج إلى تأويل، وهو دليل واضح وصريح في وجه من ينفي العصمة عن الأنبياء.

وبهذا فإن العقل والنقل يثبت العصمة للأنبياء عليه السلام، والقرآن الكريم يثبت مبدأ الطاعة لهم والافتداء بهم، فالله سبحانه وتعالى اصطفى الأنبياء عن بقية الخلق، وعصمهم من الوقوع في المعاصي، والغاية من العصمة صحة الاقتداء بهم، وانتفاء كل ما ينفر الناس منهم.

الخاتمة

أبرز النتائج والتوصيات التي خرجت بها هذه الدراسة هي:

- أن مفهوم العصمة يتمثل في حفظ الله لأنبيائه ورسله من الوقوع في الذنب وارتكاب المحرمات.
- العصمة قوة في داخل الإنسان تمنعه من الوقوع في اقتراف المعصية، والوقوع في الخطأ.
- الله سبحانه وتعالى اصطفى الأنبياء عن بقية الخلق، وعصمهم من الوقوع في المعاصي، والغاية من العصمة صحة الاقتداء بهم، وانتفاء كل ما ينفر الناس منهم.
- تنبع أهمية العصمة من أن الأنبياء مكلفون بتبليغ دين الله، وهم قدوة لأقوامهم، لذلك فهم معصومون عما يتناقض مع وظيفتهم.



- حفل القرآن الكريم بالكثير من الآيات القرآنية التي تثبت عصمة الأنبياء، وتنزههم عن الصغائر والمعاصي، وتعد الشواهد القرآنية الدليل الأكبر في وجه كل من يفترى على الأنبياء ويثير حولهم الشبهات.
 - الأنبياء معصومون عن الكفر والبدع والجهل بالله، ومعصومون عن الكذب، والعصمة للأنبياء ثابتة، ويحصل بها مقصود النبوة والرسالة، والعصمة فيما يبلغونه عن الله ثابتة ولا يستقر بها خطأ أو نسيان أو معاصي، وهذا باتفاق المسلمين استناداً لنصوص القرآن الكريم الصريحة. وإنه من لوازم الإيمان الإسلامي وجوب الاعتقاد بعلو فطرة الأنبياء والرسول، وصحة عقولهم، وصدقهم في أقوالهم، وأمانتهم في تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه، وعصمتهم في كل ما يشوه مسيرتهم.
 - إن العقل والنقل يثبت العصمة للأنبياء عليه السلام، والقرآن الكريم يثبت مبدأ الطاعة لهم والافتداء بهم.
 - العصمة مبدأ قرآني، إذ جاءت حقيقتها في القرآن الكريم وتتجسد في الامتثال لأمر الله تعالى، وعدم عصيانه.
 - قدمت الدراسة تأصيل لموضوع العصمة من خلال القرآن الكريم، لتفهم العصمة من خلالها.
- توصي الباحثة بضرورة دراسة العصمة في قصص القرآن بكل موسع، دون اللجوء عن الى روايات خارجة عن النصوص القرآنية.



المصادر والمراجع

1. الإيجي، عضد الدين، 1977م، المواقف، تحقيق عبد الرحمن عميزة، دار الجيل: بيروت.
2. الباجوري، برهان الدين، (2004م، تحفة المرید علي جوهرة التوحيد، دار الكتب العلمية: بيروت، ط2.
3. ابن تيمية، شيخ الاسلام، 2008م، مجمع الفتاوي، تحقيق أنور الباز، دار الوفاء: بيروت.
4. الجابري، محمد عابد، 1988م، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت.
5. الجابري، محمد عابد، 2008م، مدخل الى القرآن الكريم، مركز دراسات الوحدة العربية: بيروت.
6. ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، 1988م، فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري، تحقيق محب الدين الخطيب، دار الريان: القاهرة.
7. ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد، 1348 هـ، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد علي صبيح، مكتبة الخانجي: القاهرة.
8. الخطيب، محمد، 2013م، عصمة الأنبياء بين العهد القديم والقرآن الكريم؛ دراسة مقارنة، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، 11(3)، 63 – 79.
9. الرازي، فخر الدين، 2000م، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية: بيروت.
10. الرازي، فخر الدين، 1981م، عصمة الأنبياء، دار الكتب العلمية: بيروت.
11. السبحاني، جعفر، 2004م، عصمة الأنبياء في القرآن الكريم، دار الولاية: بيروت.
12. السفاريني، محمد الحنبلي، 1991م، لوامع الأنوار البهية، ط3، المكتب الإسلامي: بيروت.
13. الطبري، ابن جريري، 2000م، تفسير الطبري، تحقيق عبد الله التركي، دار هجر للطباعة: الرياض.
14. عمارة، محمد، 2010م، رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم، دار السلام للنشر والتوزيع: القاهرة.



15. عياد، القاضي، 1979م، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، دار الكتب العلمية: بيروت.
16. ابن فارس، أبو الحسين أحمد بن زكريا، 1979م، معجم مقاييس اللغة، دار الفكر: بيروت.
17. القرطبي، محمد بن أحمد، 2006م، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة: بيروت.
18. قطب، سيد، 1971م، في ظلال القرآن، دار إحياء التراث الأدبي: القاهرة.
19. ابن كثير، الدمشقي، 1990م، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد، دار طيبة: دمشق.
20. مسلم، بن الحجاج، 2007م، صحيح مسلم، تحقيق نظر الفارابي، دار طيبة: جدة.
21. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، 2004م، لسان العرب، ط3، دار صادر: بيروت.
22. نمر، عبد، 2005م، عصمة الأنبياء والرسول في الرسائل السماوية الثلاث، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الشريعة، جامعة القدس، القدس.